أخلاق المصلحين وغاياتهم وأساليبهم

- كثيرًا ما يبدأ الخلاف انتصارًا للحق، ثم يتحوّل انتصارًا للنفس، إلا عند النفوس الصادقة الزكية.

- كثيرًا ما يمتزج الانتصار للنفس مع الانتصار للحق، فيندفع الإنسان حميّةً لنفسه ويحسب أنه ينتصر للحق.

- كثيرًا ما يُنتصر للنفس باسم الانتصار للحق، يُميز ذلك العالم المخلص وينساق خلفه الجاهل.

- يتسلل الانتصار للنفس تحت ستار الانتصار للحق ولا يشعر الكاتب، فيظلم ويبغي ويظن أنه انتصر لله وهو ينتصر لنفسه.

- من عاش لنفسه لا يعنيه إن كانت مطيته الخطأ أو الصواب فالأهم عنده أن يحقق غاياته.

- من انتصر لله نصره وأعزه ولو بعد حين، ومن انتصر لنفسه أو ملكه هزمه الله وأذله ولو بعد سنين ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ (الحَجّ: ٤٠).

- العاقل لا يرد حال الغضب؛ لأن الانتصار للنفس يتسلل تحت ستار الانتصار للحق، وفي الحديث قال ﷺ: (إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ).

- الكاتب يقضي بين المعاني المتنازعة في ذهنه كما يحكم القاضي بين المتنازعين أمامه... المناظرة والحوار نوعٌ من القضاء فلا يكتب الكاتب وهو غضبان.

obeikandl.com

- **المخلص لله لـن ينـدم على حـقٍّ قاله إذا انتقـده النـاس؛ لأنه لـن يخسر شيئًا بنقدهم، فصفقته وقعها مع الله، والناس ليسوا طرفًا فيها.**

- **أكـثر مـا يصـد المصلح عـن الوصـول إلى العـزة والتمكين هو الخـوف من نقد الناس وتهيب كلامهم** ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (يُونس: ٦٥).

- **الرهبـة مـن نقـد الناس وأذاهم تحـرم الإنسان مـن دقة الفقـه والاستنباط، الرهبة قيد القلب:** ﴿لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾ (الحَشر: ١٣).

- **لا يخـاف مـن النقـد إلا مـن لديـه شرّ يُخفيـه، أو لديـه خير يُبديـه، فالأول منافق والآخر غير واثق.**

- **من نعم الله وفضله على صاحب الحق عدم تأثره بالنقد واللوم، فلا يتراجع ولا يتنازل** ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ (المَائدة: ٥٤).

- **الخوف من النقد ورد الحق، يوجد حتى في الأنبياء قال موسى:** ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ (الشُّعـرَاء: ١٢)، **قـال الله لـه:** ﴿كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ (الشُّعـرَاء: ١٥)؛ **أي: لا يحبسك شعورك هذا عن رسالتك.**

- **مـن النقـد ما يُراد منه فـت العضد والهزيمة، فلا ينبغي الإصغاء إليه، وقد قـال النبـي لمن نقـل كلام سوء فيه: (دَعْنَا مِنْـكَ؛ فَقَدْ أُوذِيَ مُوسَـى أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَصَبَرَ).**

- **أكـثر مـا يصـد المصلح عـن الوصـول إلى العـزة والتمكين هو الخـوف من نقد الناس وتهيب كلامهم** ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (يُونس: ٦٥).

- **من نعَم الله وفضله على صاحب الحق عدم تأثره بالنقد واللوم، فلا يتراجع ولا يتنازل** ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ (المَائدة: ٥٤).

- **أعظـم نعـم الله على الإنسان أن يوفقه لمعرفة الحق، ذكّر الله نبيّه بنعمه عليه فقال:** ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ﴾، **ثم قال:** ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾.

obeikandi.com

لا شيء أنفع للجاهل بعد العلم مثل الأناة والحِلم، ولا أضر على العالم من العجلة والغضب، قال ﷺ: (خصلتان يحبهما الله: الحلم، والأناة).

اللين في طرح الرأي والحكم لا يعني ضعفه ولا قبول المساومة عليه، فلا أرفق من الأنبياء بالأمم؛ أتوا بثبات ولم يقبلوا المساومة.

النصيحة أعظم هدية تُهدى، ومن وجوه تعظيمها أن تغلّف بغلاف يليق بها، وغلاف النصيحة الرفق واللين والشفقة بالمنصوح.

قد تُشدّد في النصيحة لا كرهاً في المنصوح وإنما خوفا عليه من الهلاك، كما تدفع من تخاف عليه السقوط في حفرة لا يراها .

لا تصح دعوة إلا بخلق عظيم، فيُتم الله للنبي خُلُقَه قبل أن يأمره بالإصلاح؛ لأن أعظم عوائق المصلحين أخلاقهم، فتنقص ثمرة إصلاحهم بنقصان أخلاقهم.

الحق عظيم في نفسه، تصغره العقول والأفواه. فقد يغلب الباطل الليّن الحق البيّن، فالرفق يزين القول ولو باطلاً (مَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ).

قوة الحجة لا تكفي لانقياد الناس، ولكنها تحتاج إلى لين فحجة النبي ﷺ: القرآن ومؤيده جبريل ومع هذا قيل له: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾

(آل عِمرَان: ١٥٩).

القناعة بالرأي لا تسوِّغ القسوة بطرحه فلا أصدق من الوحي ولا أقسى من القتل، ومع ذا قال إبراهيم لابنه: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾

(الصَّافات: ١٠٢).

اللين مهم، لكن لا تترك الحق لتُحبب الناس فيك، قال ﷺ: (يُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ! وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ).

اللين والشدّة كل له مناسبته، قال الله لموسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾ (طه: ٤٤)، ولكن لما ظهر عناد فرعون وتكبره شدد عليه: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا﴾

(الإسرَاء: ١٠٢).

obeikandi.com

- اللين والشدة لا ترتبط بحجم المنكر وإنما بفاعله أيضًا؛ فالنبي لانَ مع البائل في مسجده وشدد على الباصق فيه مع أن البول أشد ولكن صاحبه جاهل.

- أعظم فتنة العالم الصادق انشغاله بالأمر المفضول عن (الفاضل)... خاصةً إذا كان المفضول يوافق سلامته وهواه.

- أكثر أخطاء العلماء والنخب في حق أمتهم الانشغال بالمفضول عن الفاضل، وعند محاولة تصحيحهم يحتجون بفضل المفضول في ذاته، وهذا ليس محل النزاع.

- كثيرًا ما ينشغل المصلحون بإنكار المنكرات وفقًا لأولويات الحكام لا وفقًا لأولويات الدين، فيتجهون إلى إحقاق حقٍّ لكن إلى غير القبلة.

- لا تُنكر الخطأ الهيّن وتترك المنكر البيّن... لأجل أحد يريد منك ذلك، أو مسايرة لمن فقد الموازين، فللَّه ميزانٌ انصبه بينك وبين الناس واحكم به.

- انشغال الإنسان بمحاربة مخالف الحق، وترك من هو أشد منه مخالفةً، دليل على أنه استتر بالحق لحظ النفس.

- كون الشيء حقًّا في ذاته لا يعني صحة الانشغال به.

- من أشهر الأخطاء أن تُضبط أولويات الدين وفقًا للسياسة، لا أن تضبط السياسة وفقًا لأولويات الدين، فالسياسة آلة لإحقاق الحق وليست غاية في ذاتها.

- الصادق يخرج الحقّ إذا أراده الله، لا ينتظر به إرادة الناس ولا مآرب السياسة.

- من أخطر دواخل المنظّرين للأفكار أن تنشغل أذهانهم بهموم خاصة ومعاناة ذاتية، فيُصدرونها على أنها قضية أمة وهمّ مجتمع فيُحيون قضية مغفولاً عنها.

- لا أنقى شرعة من شرعة الله، ولا أزكى وأذكى من الأنبياء، ومع ذا تدرّجوا لا لقصور في الرسالة وإنما لقصور العقول فما تأخذه على عجل تدعه على عجل.

obeikandl.com

- الصياح في الناس بلا حجة يجمعهم سراعًا بكثرة، ولكنهم يعودون كما أتوا، ودعوتهم ببطء وحجة وبرهان ولو تباطؤوا يبقيهم وإن قلوا، وهكذا دعا الأنبياء.

- لا تتنازل للباطل وإنما سايره حتى تصلحه، فإنك إن تنازلت ببعضك سقطت كلك.

- أن تبدأ بربع الحق قويًا فتتدرج إلى أعلاه، خيرٌ من البداية بأعلاه على عجلٍ فينهار كله أعلاه وأدناه.

- إصلاحات الدول والمجتمعات المنحرفة يتدرج بها الضعفاء من الأسفل حتى تصل إلى هرمها، وقلما يتم إصلاح بعكس ذلك هذا ما يحكيه القرآن ويرى في التاريخ.

- ينبغي أن يكون صاحب الرسالة متبسطًا مع المخاطبين، وكلما قرب من حياتهم رسخ قوله، قال الله عن نبيه ﷺ: ﴿يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ (المؤمنون: ٣٣).

- إذا ابتعد العالم عن العامة خطوة ابتعدوا عنه مثلها... لهذا كان النبي ﷺ مع الصغير والكبير والحر والعبد والغني والفقير.

- إنكار المنكر لا يُسوّغ اتهام النيات قال خالد بن الوليد: كم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه فقال النبي ﷺ: (إنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أُنَقِّبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ).

- كثيرًا ما تكون دعوة الإنسان صحيحة ولكنه يُفسدها بالغلو في تقريرها فتُهجر، أو يُفسدها بالتراخي في طرحها فتضيع.

- اقتصار الداعي على الترغيب دون الترهيب أو العكس مخالف لدعوة جميع الرسل: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ (فُصّلَت: ٤٣).

- الدعوة إذا لم تكن متضمنةً للاحتساب على المنكر فهي ناقصة الخير ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (آل عِمرَان: ١٠٤).

obeikandl.com

الابتلاء يلحق «الناهي عن المنكر» أكثر من «الآمر بالمعروف» لهذا يترك بعض المصلحين النهي ويكتفي بالأمر طلبًا للسلامة فتتشوّه الرسالة.

الشريعة على قسمين (فعل) و(ترك)، يُحب الإنسان أن يعمل ولا يحب أن يترك؛ لأن الترك ترك للشهوات والفعل فعل للمحبوبات، فيساير بعض الدعاة الناس فيَدَعون نهيهم عما يشتهون بـ (يحرم) و(لا يجوز) فيتبسطون في المنهيات ويندفعون بحماس في المأمورات ولو كانت سننًا، لكسب الجماهير على حساب دينهم، وليس من الأمانة أن تكون أمينًا على أموال الناس فتخبرهم بالأرباح وتكتم عنهم الخسارة ولو كانوا كارهين، وحفظ دينهم أولى من أموالهم وعند موازنة الحسنات بالسيئات يوم القيامة، وتمييز الفوز، يُميّز الناس الداعي الأمين عن غيره، كما يُميزون التاجر المدلّس عن المنصف بأرباحهم.

الإسلام نظام أمة يصعب عزله لأنه نزل متوافقًا مع الفطرة، ولكن الإعلام يبرزه على أنه سلوك وآداب وتربية ويبرز دعاة هذا النوع ليغيّب جانبه الأكبر.

الإصلاح لا يتم إنزاله على الفساد إلا بالنظر إلى زمنه ومكانه ونوعه وحجمه وآثاره، فالإصلاح دواء إذا عولج كل المرضى بنفس الدواء مات أكثرهم.

ليس من إحقاق الحق أن تستعمل الحقّ فقط، ولكن إحقاقه أن تضعه في موضعه، فما كلُّ لباس صالح يُجمّل كلَّ أحد، وما كلُّ كلمة حسنة تصلح في كل موقف.

دعوة الأنبياء وإصلاحهم كان سرًّا وعلانية بحسب المصلحة الراجحة، ونوع المجاهرة بالذنب. ولو كان الإنكار كله سرًّا ما صحت دعوةٌ لنبي من الأنبياء.

لا تنصح علانيةً من أخطأ سرًّا فيجهر بذنبه فتبوء بإثمه: ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴾ (النِّساء: ٦٣).

من أسر ذنبًا ولو عظيمًا فلا ينصح علانية حتى لا يتجرأ فيظهره ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴾ (النِّسَاء: ٦٣).

العلانية والسر في الإصلاح نهج الأنبياء، بحسب الحال والمآل... قال نوح: ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴾ (نُوح: ٨، ٩).

المنكر العلني الذائع يُنكر علانية بلا بغي، فحفظ مقام الدين أولى من حفظ مقام الناس.

الحرية الشخصية لا تُخوّل فعل المنكر علانية، فالأمة كالسفينة رمي المفسد لنفسه منها أهون من خرقه لها فالذنب العام الصغير أعظم من الخاص الكبير.

الإكثار من النصيحة على منكر، مثله لا يحتاج هذه الكثرة جهل أو شهوة خفية قد تصيب الناصح، وتذهب بالمنصوح فيُسيء ظنه بقصد الناصح، فينتصر لمنكره.

من علامة هلاك الإنسان أن يرى كثرة النصيحة له ولا يرى كثرة أخطائه، فبدلاً من أن ينشغل بتصحيح نفسه ينشغل بالانتصار لها .

من اعتاد رؤية المنكرات ولا يُنكرها ولو بقلبه فهو عديم الإيمان أو ضعيفه ولو كان عابدًا، ففي الحديث: (فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ).

إذا لم تستطع تغيير المنكر فلا تجاوره، فالمُصلح يؤيِّد بفعله كما يؤيد بقوله، فالله نهى نبيه أن يدخل مسجد الضرار وهو مسجد: ﴿ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗا ﴾ (التَّوبَة: ١٠٨).

مما يعيق المصلح الصادق وجود من يشاركه في بعض نصحه من تيارات جانحة عن يمين وشمال فتُرسم له صورة ذهنية معهم كما تُرسم للعابر صورة مع العابرين.

أول صفات النبي في الكتب السابقة الحسبة: ﴿يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ (الأعراف: ١٥٧) لذا كرهوه وكرهه المنافقون.

obeikandl.com

- لا يكره الأمر بالمعروف إلا من ترك المعروف وكرهه، ولا يكره النهي عن المنكر إلا من فعل المنكر وأحبه، وقد ذكر الله اجتماع ذلك في المنافقين.

- لا يحارب الإصلاح إلا من لديه فسادٌ يخشى زواله.

- «جهاز هيئة الأمر بالمعروف» له قوته ومكانته ودفع الله به فتنًا وشرًا يُراد، عجز المتربصون الكيد به من خارجه، أخشى أن يكون بدأ تفتيته من داخله.

- ردّ النصيحة كبيرة، ربما يفوق ذنب المنصوح. قال ابن مسعود: «إن من أكبر الذنب أن يقول الرجل لأخيه: اتق الله، فيقول: عليك نفسك، أنت تأمرني!».

- أعظم ما يقطع طريق النصيحة سوء ظن المنصوح بالناصح.

- إذا أساء المنصوحُ الظنَّ بالناصح تحولت النصيحة من إصلاحٍ إلى فتنة.

- إذا كره المنصوح النصيحة استعجل العقوبة، آخر كلمة قالها صالح لقومه قبل العقوبة: ﴿يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ (الأعراف: ٧٩).

- ولاية الحسبة مثل ولاية الخلافة أقام عقدها وشرطها الله لا يملك أحد حلها، سأل الخليفة المعتضد محتسبًا: من ولاك الحسبة؟ فقال: «الذي وَلاَّك الخلافةَ».

- أول خطوات الفساد في الأمم القول به، ثم فعله، ثم حمايته، ثم محاربة المصلحين المواجهين له.. وهذه آخر عتبات الصراع إما رجوع الدول وإما سقوطها!

- تعطيل النصيحة والإصلاح: (لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلاَ يَسْتَجِيبُ لَكُمْ).

- ينزل الله عقوبته على الأمم بحسب حربها للمصلحين والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر: ﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (آل عمران: ٢١).

# # #

obeikandl.com